عواقب غير مقصودة؟ تصنيع الأفكار في التعليم العالي وتأثيرها على الطلاب المسلمين

أنكي إيمان بوزنيتا * وبرونوين وود **

الملخص: التربية الإسلامية، من منظورها الشامل، هي أكثر من مجرد نقل للعلوم الإسلامية البحتة بطريقة مباشرة. فهي تتضمن فروعًا أخرى من التخصصات وتلازم المسلمين بشكل مثالي، من خلال انعكاسات النظرة الإسلامية للعالم، أثناء تكوينهم الرسمي وغير الرسمي. يعكس هذا المقال كيفية انتشار مفاهيم سلعية تنبع من وجهة نظر غير إسلامية للعالم في التعليم العالي المعاصر في العالم الإسلامي، وما هي النتائج المتوقعة للطلاب المسلمين. يشرح المقال الاختلافات في النظرة إلى العالم والأنظمة التعليمية وتسليع الأفكار. يقدم أمثلة من مناهج كلية إدارة الأعمال وعلم النفس وتأثير التدريس بلغة أجنبية، لتلخيص النتائج (غير) المقصودة على التطورات التعليمية للطلاب. كما يوضح كيف غمرت نظرية المقاصد، وهي الأهداف العليا للشريعة الإسلامية، الفكر الإسلامي كرد فعل على التحيز في النظام التعليمي.

الكلمات المفتاحية: التربية الإسلامية، النظرة العالمية، التسليع، المقاصد، كليات إدارة الأعمال، التعليم العالي

أستاذ مشارك، قسم العلوم الإسلامية، كلية التربية، جامعة السلطان قابوس، مسقط، عمان.

بريد إلكتروني: bouzenita@squ.edu.om

** أستاذ مساعد، قسم إدارة الأعمال، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة الإمارات العربية المتحدة، العين، الإمارات العربية المتحدة. بريد إلكتروني: bwood@uaeu.ac.ae

مقدمة

ترجع جذور نظام التعليم المعاصر في العالم الإسلامي إلى فترة الاستعمار. وقد تم غرسها بمؤسساته ومناهجه ومنهجياته التعليمية، وذلك بعد القضاء على نظام التعليم الإسلامي التقليدي؛ أو تم تقديمها كمنقذ للمجتمعات في العالم الإسلامي التي أصبحت أنظمتها التعليمية قديمة بسبب الإهمال (Hegazy, 2006; Denman, 2012; Progler, 2004)[1]. المشكلة ليست جديدة على البحث والتحليل. ومع ذلك، قد تكون هناك اختلافات بين تحليل المشكلة ومحاولة إيجاد حلول؛ وكذلك بين استراتيجية حل المشكلات وتحقيقها. خلال تلك الفترة، ارتكبت أخطاء سواء في المنهجية أو في طريقة التنفيذ؛ قد يكون مسار مدرسة العلوم الإنسانية في إطار التربية الاسلامية بمثابة مثال حديث لهذه الظاهرة. (Hussain & Bouzenita, 2011)

يعد التعليم موضوعًا سياسيًا مهمًا في العديد من المجتمعات وأيضًا فيما بينها. في الديمقراطيات، كثيرًا ما يتم "إصلاح" نظام التعليم حيث يأخذ كل حزب من مختلف الأيديولوجيات المتنافسة دوره في السلطة، مما ينتج عنه تأكيدات متفاوتة في المناهج الدراسية بمرور الوقت (Denman, 2012; Hegazy, 2006)، اعتمادًا على الحكومة، ولكن في عصر الليبرالية الحديثة، بشكل متزايد، في السوق (Bridges & McLaughlin, 1994; Hatcher, 2006; Hogan, Sellar, & Lingard, 2016; Roberts, 1994).

تتزايد الانتقادات الموجهة إلى أنظمة التعليم في الدول الغربية والصناعية وتلك التي تتبع مساراتها. (Gatto, 2000) يذكر المنتقدون عادة أن النظام هو نتاج التصنيع، ويهدف فقط إلى إنتاج كتلة من الموارد البشرية التابعة والتي لا تتسم بالنقد للعمل في المصانع، وبعض الأشخاص المؤهلين للقيام بوظائف إدارية لتشغيل المصانع وإدارتها، واختاروا قلة لمتابعة مهنة أكاديمية (Chomsky, 2014). يهدف "تطور" الطلاب هذا في النظام المدرسي إلى أن يأخذوا مكانهم في مكان عمل صناعي، مما يعني أن التركيز التربوي في المقام الأول يرجع إلى التوافق الاجتماعي، وليس إبداعي (Robinson, 2011)، ولكنه أيضًا مهني، وصولاً إلى أعلى مستويات درجات نهائية.

ولقد تم استيعاب هذه الهياكل من خلال ممثلي النظام عن طريق اتباع قواعد غير مكتوبة، وقد يجد أولئك الذين يوصفون بأنهم "دخلاء" من حيث التنشئة الاجتماعية أو النسب صعوبات في النجاح داخل النظام (Chomsky, 2014; Robinson, 2011; Gatto, 2002). كانت هناك انتقادات لنموذج التعليم من مجموعة واسعة من الجماعات وذوي المصالح، الذين ينتقدونه باعتباره خنقًا للإبداع وقهرًا للشخصية وغرسًا في العبودية. ينصب اهتمامنا على المدى الذي خدم فيه هذا النموذج، المستورد عبر العالم الإسلامي، الطلاب المسلمين.

يناقش هذا البحث بعض المشاكل التي قد يواجهها الطلاب المسلمون فيما يتعلق بنظام التعليم المستورد، والدراسة بلغة أجنبية، وكونهم مستهلكين للأفكار السلعية دون الخبرة لتفكيكها. يسأل بشكل خاص عن العواقب (غير) المقصودة لهذه الأفكار.

تسليع الأفكار

إن للتسليع عدد من التعريفات الممكنة، مع المعنى الأصلي المنسوب إلى كارل ماركس (Marx, 1975). يستخدم المصطلح لوصف العملية التي يتم بموجبها تعيين شيء ليس له قيمة اقتصادية - لتوضيح كيف يمكن لقيم السوق أن تحل محل القيم الاجتماعية في المجتمع. هذا يسمح بالعلاقات بين الأشياء أو المواد، التي لم يكن بينها في السابق أي علاقة اقتصادية ليتم تسويقها.

يشير (Strasser, 2003) إلى التسليع كعملية تاريخية، وهي عملية يتم فيها إنتاج الأشياء أو توزيعها في وقت ما في سياقات غير سوقية "(ص 7) كما تم تجميعها حيث تشجع الرأسمالية المجتمعات على اتخاذ" قواعد السوق اعدادًا افتراضيًا لثقافتنا " (Agnew, 2003:21). الثقافة المشار إليها هنا هي الثقافة الغربية.

يقصد بالتسليع، في هذا الصدد، أن نأخذ شيئًا خاصًا أو فريدًا، ونتعامل معه كما لو أنه لا يمكن تمييزه، وقابل للتبادل، كل يوم. يصبح نظام التعليم في جميع أنحاء العالم، من وجهة نظر داخلية وخارجية، ضحية لهذا النوع من التسليع. أدت العولمة، وهي ظاهرة تصدير النماذج الغربية، المكررة في جميع أنحاء العالم من خلال الاستعمار أو التقليد، إلى اعتماد شكل مترابط للتعليم في جميع أنحاء العالم. هذا النظام، الذي غُرس بقيم المجتمع الغربي ووجهات نظره وأهدافه، يعكس بشكل طبيعي قيم المسيحية والعلمانية والرأسمالية والصناعية، وربما الأهم من ذلك، الاستهلاك/ الاستفادة. يمكن ملاحظة إعادة عمل التصدير والنسخ في أعقاب عملية الاعتماد التي تسعى العديد من الجامعات في العالم الإسلامي إليها.

تعتبر خطابات كليات إدارة الأعمال الغربية أن الاستهلاك ينطبق على سلسلة الخبرات البشرية - من توليد الأفكار إلى الشراء، ومن السلع المادية إلى الملاحظات والأفكار والتجارب (Solomon, 2016). هذا النهج يجعل المشاركين - الأشخاص والمؤسسات سلعة بشكل أساسي. مثال بسيط على ذلك هو مصطلح دراسات الإدارة "الموارد البشرية"، والذي يشير إلى الأشخاص الذين يعملون في شركة، أي القوى العاملة البشرية. من الواضح أن شخصًا فريدًا لا يمكن استبداله بآخر، مهما كانت خصائصه متشابهة، على الرغم من ظهور مصطلح "الموارد البشرية "، وعصر القوى العاملة المتعاقد عليها والمخصصة وغيرها من مظاهر الهيمنة الرأسمالية (NPR, 2018; Forbes, 2015).

التسليع، إذًا، هو إعادة تفسير الأشياء والمفاهيم لجعلها أكثر جاذبية، وأكثر إقناعاً، وأكثر قبولًا في خدمة الاقتصاد العالمي الرأسمالي.

استخدم مؤلفو هذا المقال سابقًا مصطلح التسليع بمعنى "اختيار أفكار معينة، وتمثيلها الرمزي المبسط (أحيانًا مع عدم مراعاة خلفيتهم الفكرية أو المجتمعية) وترجمتها إلى معيار و/ أو سلعة (Bouzenita and Boulanouar, 2016, p.61). سنستخدم المصطلح بهذا المعنى هنا أيضًا.

في الآونة الأخيرة، لاحظ عدي سيتيا الخلط والاختيار المشترك لنظرية المقاصد (Setia, 2016). نحن نستخدم مصطلح التسليع بطريقة مماثلة، مع التركيز الإضافي على انتشار المفهوم المختلط والمشترك (سيتيا).

نموذج التربية الإسلامية التقليدي

تبعا للنظام التقليدي، كان المسلمون يتعلمون في المساجد، بدءًا من أصول الدين الإسلامي (القرآن، والسيرة، والحديث، واللغة العربية) كأساس لكل التعليم المهني والثقافي الذي أعقبه (الرياضيات، والعلوم، واللغات، والشعر، إلخ). كتب ابن خلدون: "ينبغي أن نعلم أن تعليم الأطفال القرآن هو رمز للإسلام. تمتع المسلمين بهذا التعليم ومارسوه في جميع مدنهم، لأنه يشبع القلوب بإيمان راسخ (في الإسلام) وأصوله الإيمانية المستمدة من آيات القرآن وبعض الأحاديث النبوية " (Ibn-Khaldun: 1958, #38). وبهذه الطريقة، كان التعلم يقع ضمن تعليم إسلامي شامل، مما يعني أن الطلاب لديهم مصدر جيد لتعلم الإسلام حتى مع القليل جدًا من التعليم الرسمي. كما يعني أيضًا أن الطلاب تعلموا النماذج والأخلاق الإسلامية كنقاط انطلاق لجميع التقييمات.

هذه النقطة مهمة للغاية، لأن تطوير النظم التعليمية المختلفة قد عكس تأكيداتها ومتطلباتها. في الغرب، تطورت المدارس من المسيحية إلى الفلسفة إلى الاقتصاد وتخصصات الأعمال الأخرى. في التقليد الإسلامي، تطور التعلم كاملًا من القرآن.

وبالمثل، فإن الهيكل المادي للتدريس يعني أن الطلاب يجلسون مع المعلمين في حلقات في المسجد يعملون معًا في دروس مختلفة (Al Khateeb, 2012) - المجموعات تتكون حسب المستوى وليس العمر. بهذه الطريقة، يمكن للمرء أن يجد معلمًا أصغر بكثير من بعض الطلاب في مجموعته، وهذا طبيعي.

وعلى الجانب الاخر، في العصر الحديث، قد يكون العثور على نموذج إسلامي تقليدي للتعليم محاولة غير مجدية. مع ركود عملية إنهاء الاستعمار وتحت تأثير العولمة في العالم الإسلامي، قد يظل استغلال أنظمة التعليم "لإعادة تثقيف" المسلمين للتوافق مع القيم (الغربية) والمعايير (الغربية)؛ مع تعديل النظم القانونية بالمثل (Charrad, 2001)، كان التعليم هدية لتشجيع الامتثال في البلدان الإسلامية في جميع أنحاء العالم. في أعقاب الاعتماد، تعمل مؤسسات التعليم العالي في العالم الإسلامي على تبسيط أنظمتها الجامعية بشكل أكبر على غرار التوحيد القياسي "الغربي".

اختلاف في وجهات النظر العالمية

تبرز أهمية مناقشة الاختلافات في وجهات النظر العالمية في هذه النقطة، وذلك لفهم أبعاد استيراد الأفكار والأنظمة إلى قطاع التعليم في العالم الإسلامي.

إن النظرة الإسلامية للعالم، أولاً وقبل كل شيء، تقوم على مفهوم التوحيد، وحدانية خالق السماوات والأرض، لقد خلق الله الإنسان عبدًا لله أو خليفة أو نائبًا له على الأرض. والغرض من وجوده هو خدمة خالقه وطاعة أوامره ونواهيه. هذا هو أيضًا المفهوم الأساسي، الهدف ("نتيجة التعلم"، من الناحية التربوية) في أي تعليم إسلامي على أي صعيد. في حين أن اكتساب المعرفة الإسلامية الأساسية هو التزام فردي (فرض عين) فيوصى باكتساب أي نوع آخر من المعرفة المفيدة (أي غير الضارة)، وهو أمر مسموح به في الأساس أو يمكن حتى إعطاؤه قاعدة الالتزام الجماعي (فرض كفاية). العلم المؤذي نوع من العلم الذي يستتبع الكفر أو يؤدي إلى الكفر كالسحر والشعوذة ونحوهما. المصادر الأساسية لطريقة الحياة الإسلامية، وبالتالي نظامها التعليمي، هي القرآن وسنة النبي (صلى الله عليه وسلم). يشيع أنه بينما وجدت الثقافة الإسلامية تطبيقًا نشطًا، كان المسلمون في ذروة الخبرة العلمية والتطور. حقيقة تجد سرها في الآية الأولى من نزول الوحي. "اقرأ بسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق ". (Qur'an, 96:1-2).

تنص النظرة المادية العلمانية للعالم كما تتجلى في المجتمعات الغربية، وتم استيرادها إلى بقية العالم في أعقاب الاستعمار ثم العولمة، في نسختها ذات العقلية التكنولوجية، بشكل أساسي على أن الخالق قد يكون أو لا يكون موجودًا، ولكن الكائن البشري حر في اتخاذ خياراته الخاصة بين الخير والشر، الصواب والخطأ، وإنشاء أنظمته الخاصة، وفقًا لأهوائه ورغباته، أو "منفعة" حقيقية أو تخمينية. معيار العمل هو المنفعة المادية، وقد توجد إرشادات أخلاقية لمختلف العلوم التي أثبتت جدواها، ولكن غالبًا ما يتم التضحية بها لهذا الغرض. العلمانية، إذا جاز التعبير، هي حامية الكأس المقدسة ولا جدال فيها.

يجب إجراء الملاحظة أثناء الشروع في الخبرة العلمية من أي نوع تم تطويرها في إطار منظور مختلف، هنا النظرة العالمية الرأسمالية العلمانية؛ في حين أن العلوم البحتة وعلوم الحياة وما إلى ذلك، غالبًا ما تُعتبر محايدة، إلا أنها قد لا تزال تعبر عن وجهة نظر في الحياة تتعارض مع النظرة الإسلامية للعالم، إما في التصور (النظرية)، أو في التطبيق (الممارسة)، أو كليهما (Boulanouar, 2017). بقدر ما يتعلق الأمر بالعلوم الإنسانية والاجتماعية والفلسفة وعلم النفس وعلم أصول التدريس، يجب أن يكون المبدأ التوجيهي هو قبول هذه المفاهيم فقط بعد التمحيص الدقيق فيما يتعلق بتوافقها مع النظرة الإسلامية للعالم. هذا يتطلب كون طلاب هذه العلوم (وكذلك المعلمين!) مجهزين جيدًا ومتمرسين في الثقافة الإسلامية. تكمن هنا بشكل خاص نقطة ضعف الطلاب المسلمين في التعليم العالي في العالم الإسلامي (وخارجه) اليوم. نتيجة لتزايد العلمنة في المجتمعات في العالم الإسلامي، وتغريب

(وعلمنة) النظم التعليمية، يمارس الطلاب المسلمون إسلامهم على أساس فردي (فيما يتعلق بالصلاة والصوم)، لكنهم ليسوا على دراية جيدة بالنظم الإسلامية والتاريخ وبفهم مصادرها.

وعليه، ماذا يعني أخذ الأفكار من وجهة نظر عالمية، من العالم المادي العلماني، واستيرادها لآخر، الإسلامي؟ نحن بحاجة إلى اعتبار أن الأفكار والمفاهيم تحمل قيمًا، وأنه من وجهة النظر الإسلامية، فإن أي عمل يحتاج إلى تقييم ومواءمة مع أحكام الشريعة الإسلامية. قد يأخذ بعد ذلك قاعدة الوجوب (الواجب)، أو الموصي به (مندوب)، أو الجائز (مباح)، أو غير محبذ (المكروه)، أو ممنوع (حرام). مجال المباح "الجائز" واسع جدًا. فيما يتعلق بالعلوم الطبيعية، على سبيل المثال، فإن كل ما يأتي تحت وصف واقع معين لا قيمة له ويمكن اعتماده ضمن هذه الفئة؛ شريطة أن يكون استخدامه جزءًا لا يتجزأ من إطار إسلامي. في حال انبثاق الفكرة/ المفهوم من وجهة نظر علمانية، فإن اعتمادها سيتعارض مع نظام معتقد الشخص وقد يؤدي إلى التشكيك؛ في حال تعارضها مع قاعدة شرعية إسلامية، فترقى إلى حالة الحرام. الأهم من ذلك، أن الاختلاف في النظرة العالمية يستلزم اختلافًا في المنهجية، والدمج بين وجهتي النظر على أساس المفاهيم والقواعد سيؤدي إلى منهجية مختلطة تقوض المفاهيم الإسلامية بمهارة.

التدريس بلغة أجنبية وآثاره

على الرغم من أن هذا ليس المحور الرئيسي لهذا البحث، إلّا أن الجانب اللغوي يعتبر بالتأكيد أحد العوامل التربوية في استيعاب الأفكار، وعدم القدرة على التفكيك، واستمرارية التبعية. لذلك قد نلخص بعض الأفكار لدعم الموضوع الرئيسي لهذا المقال.

يعد مجال اللغويات النفسية والثقافية مهمًا بالتأكيد لأي موضوع يتعلق بالتعليم في سياق دولي. تشير فرضية سابير وورف، أو بالأحرى نظرية النسبية اللغوية، كما يفضل وورف، إلى أن اللغة تؤثر على الفكر (Chafe, 2013, 122). إذا كان الأمر كذلك، فتبرز بالتأكيد أهمية اللغة المستخدمة لاكتساب المفاهيم العلمية الأساسية والأكثر تقدمًا. قد يكون من المهم أيضًا إلى أي درجة يتقن الطالب وسيلة التدريس حتى يتمكن من التفوق والابتكار.

غالبًا ما يتم التعليم في المرحلة الجامعية، وأحيانًا الثانوية وحتى الابتدائية في المستعمرات السابقة بلغة أجنبية - اللغة الإنجليزية في البلدان المرتبطة تاريخيًا بالاستعمار البريطاني أو النفوذ؛ الفرنسية في المستعمرات الفرنسية السابقة، وما إلى ذلك.

إن تدريس المفاهيم الأساسية بلغة أجنبية، عادة لادعاءات القدرة التنافسية أو الحداثة أو الوظيفة، له عدد من التأثيرات على المتعلم؛ من بينها خطر تفاقم عدم القدرة على التعبير عن هذه المفاهيم باللغة الأم؛ قد يجد المتعلمون أنفسهم مقيدين أو حتى عاجزين عن تطوير الأفكار بلغتهم الخاصة، بينما لا يتقنون اللغة الأجنبية جيدًا بما يكفي ليكونوا قادرين على التفوق. بالإضافة إلى ذلك، تضيع شبكة المعاني الموجودة بشكل طبيعي أثناء الدراسة باللغة الأم. قد تؤدي العملية إلى عجز الإشارة إلى الإرث الثقافي الخاص، حيث أن النصوص والمصادر التي يتعرف عليها المتعلم هي تعبيرات عن ثقافة مختلفة؛ أو قد يبدأ المتعلمون في الإشارة إلى ثقافتهم وتراثهم من خلال مرشح اللغة الاستعمارية (السابقة) ومصادرها (Pennycook, 1998).

قد تنتشر قناعة معينة بأن اللغة/ الثقافة الخاصة بها غير قادرة على إنتاج مفاهيم وحلول "حديثة"، وأنها غير قادرة على المنافسة في العالم الحديث. من المتوقع أن يستمر الاعتماد على الخبرة الأجنبية والمعلمين الأجانب وإرسال الطلاب الشباب إلى جامعات أجنبية - وهو عامل اقتصادي لا يمكن تجاهله بالنسبة للقوى الاستعمارية السابقة (Universities UK, 2017). أي لغة هي أيضًا وسيلة للمفاهيم الثقافية؛ المفاهيم التي يمكن الاستيلاء عليها كجزء من عملية التثاقف. قد يكون لاستخدام لغة أجنبية في التعليم العالي بعض المزايا؛ ومع ذلك، فإن النتائج السلبية متعددة الطبقات ومتشعبة. شهدت معظم المستعمرات السابقة مناقشات حول استخدام اللغة الاستعمارية السابقة كوسيلة للتعليم، على سبيل المثال لا الحصر، قد نشير إلى المناقشة وتغيير القرارات في ماليزيا حول ما إذا كان يجب تدريس الرياضيات والعلوم باللغة الإنجليزية أو اللغة الملايوية (Tan, 2011).

إلى جانب القضايا الأيديولوجية المتأصلة مع اعتماد المسلمين المتحدثين بلغات أخرى مناهج اللغة الغربية، وخاصة اللغة الإنجليزية، فإن الطلاب المسلمين في وضع غير مؤات داخل النظام عند مقارنتهم بمعاصريهم الغربيين (أو حتى المتغربين) (Chase, 1980).

أمثلة كلية إدارة الأعمال:

لإعطاء مثال على دلالة علمانية نموذجية ونظيرتها الإسلامية - غير الموجودة - في الكتب المدرسية للتعليم العالي؛ يتعرض الطلاب لمفهوم "اليد الخفية" الاقتصادية كما يُنسب إلى آدم سميث في نصه الشهير *ثروة الأمم* (Smith, 1776). يعكس التفسير وجهة نظر الغرب الرأسمالية أو الصناعية في صياغته بأن "الخباز لا يخبز الخبز بدافع الإحسان". تستخدم الفكرة - في الدوائر الليبرالية الحديثة، وربما شهدت أيضًا استخدامًا سلعيًا وغير سياقي كما صاغها آدم سميث - وذلك للإشارة إلى أن أفعال المصلحة الذاتية الفردية تؤدي إلى منافع اجتماعية، وبالتالي فإن الدولة ليست مسؤولة عن الرعاية الاجتماعية - حيث ينظمها السوق المحرر على حسابه الخاص. الطالب المسلم لا يتعرف على آليات الاقتصاد الإسلامي، أو حتى المنظور الإسلامي، كما صاغه الإمام الشاطبي في "موافقاته"، بأن الخباز يعمل لإنتاج الخبز لجيرانه لشرائه كعمل عبادة، أي أنهم يُطعمون ويتقاضون أجرًا (Al-Shāṭibī, 2003, 2/300). هناك العديد من الأمثلة على ذلك عبر التخصصات، وبالتأكيد فإن النتيجة القصصية هي تجزئة الأفكار في أذهان الطلاب المسلمين. إنهم مسلمون في المنزل، ولكن في الجامعة والعمل وخاصة في الأعمال التجارية يُنظر إليهم على أنها لا علاقة لها بالإسلام - تطبق قواعد مختلفة، وتكثر المعايير المختلفة في هذه السياقات. لقد ضاع الارتباط بين الشريعة الإسلامية والتعليم والحياة المهنية.

يواجه الطلاب "صدامًا" عند تعليمهم ندرة الموارد، بينما يعلم الإسلام الوفرة (Qur'an 7:10, 15:21, 2:29). كما يشير (Zarqa, 2003) ، هناك الكثير من العمل الأكاديمي الذي يعكس النظرة العالمية بأن هناك "عدم توافق محتمل بين الموارد المتاحة والاحتياجات البشرية" (ص 18) عندما يكون، بالنسبة للطلاب المسلمين، "المصدر الوحيد لعدم التوافق الذي قد ينشأ بين إن الرغبات البشرية وكميات الموارد الطبيعية المتاحة هي سوء سلوك الإنسان وانحرافه عن معايير الإنتاج والاستهلاك التي فرضها الله "(ص 19). يمكن تفاقم هذه النزاعات، عندما تتحول المفاهيم الإسلامية مثل مقاصد الشريعة إلى سلعة لجعل التعاليم الإسلامية مستساغة أو "ذات صلة"، أو لتجميع هذه المفاهيم المعقدة "لتلبية احتياجات" النظريات البشرية الراسخة مثل الندرة. (على سبيل المثال، (Rice, 1999، والعديد من النظريات الأخرى.

الطلاب أيضًا محرومون من فهم بعض المفاهيم. على سبيل المثال، يدرّس مفهوم الفائدة (Qur'an 2:279) كمعيار في كلية الأعمال الغربية (ومن الصف السابع في الرياضيات المدرسية). إن الاستفسار عن كيفية زيادة قيمة المال يتم الرد عليه بشكل طبيعي بالفائدة والتضخم وما شابه ذلك، بينما بالنسبة للطالب المسلم فالربا حرام (على سبيل المثال (Qur'an 3:130, 4:161, 2:275-276, 278-279). لذلك، قد يكون من الصعب الوصول إلى هذه الإجابة والتعلم، وبالتالي التدريس. يتطلب فهم الأمر "بشكل صحيح" في الواقع تجزئة الإيمان. للإجابة على سؤال لماذا يتم تدريس الفائدة من الأساس، قد يستشهد الأكاديميون بالعولمة والاقتصاد العالمي. ومع ذلك، مع تعليم الفائدة بشكل أساسي أو رئيسي، بدلاً من التكميلي، فإن مفهوم الفائدة في هذه الحالة إما مقسم في عقل الطالب أو يحل محل "الذات الإسلامية". يخفف القبضة على دين الله (Hussain & Bouzenita, 2011).

التسويق، ربما يكون أكثر تخصص في كلية إدارة الأعمال المادية، هو تخصص يدعم بقوة الاقتصاد الرأسمالي ويعززه. يدرّس مقرر يسمى سلوك المستهلك في صميم هذا التخصص. يدرس هذا الموضوع سلوك المستهلكين - سواء كانوا مشترين أو "مستخدمين نهائيين" - ويطور استراتيجيات تهمهم (باستخدام علم النفس والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وما إلى ذلك) والتواصل معهم (على سبيل المثال، الدعاية).

على الرغم من حقيقة أن الغالبية العظمى من سكان العالم هم ما يسمون بالمجتمعات "الجماعية"، والتي تركز أكثر على المجموعة أكثر من الفرد ("نحن" مقابل "أنا")، فإن الكتب المدرسية لسلوك المستهلك تكرس قدرًا كبيرًا من الاهتمام إلى (الفردية) ونظريات العلوم الاجتماعية المختلفة المتعلقة بالمفهوم. الافتراض السابق، على سبيل المثال، هو أن الناس يستهلكون للتميز، لإظهار فرديتهم، وتفردهم الشخصي، وأن المستهلكين عمومًا يكرهون الحصول على نفس المنتج مثل أي شخص آخر - لا سيما في حالة المستهلكات. هذا نادرًا ما يكون صحيحًا في مجتمعات

الذات المترابطة، في الواقع في الفهم الإسلامي يمكن اعتبار هذا المفهوم مقلوبًا تمامًا مع هذا النوع من العرض المخصص للتجمعات الخاصة بدلاً من التجمعات العامة.

مقاصد الشريعة، المقاصد العليا للشريعة الإسلامية، وتسليعها

طوّر علماء المسلمين المتجذرين بعمق في العلوم الإسلامية نظرية مقاصد الشريعة، وهي الأهداف العليا للشريعة الإسلامية، في إطار إسلامي. من خلال مقارنة وتقييم العديد من القواعد القانونية التفصيلية، وجد هؤلاء العلماء أن هناك أهدافًا معينة يتم تحقيقها من خلال التطبيق الشامل لهذه القواعد، مثل الحفاظ على الدين والحياة والفكر والنسل والثروة. على الرغم من أن هذه القيم الخمس غالبًا (خاصة في الكتب المدرسية المعاصرة) يتم تقديمها على أنها الحل الوحيد الممكن، فقد ذكر علماء مختلفون قيم مختلفة أو نوعوها أكثر.

عرّف الإمام الغزالي المقاصد بأنها إما الحصول على منافع (مصالح) أو درء الأذى (مضرّة)، سواء كان ذلك في حياتنا (الدنيا) أو الحياة الأخرى (الآخرة). يتم الحفاظ على هذه القيم في مراحل مختلفة من القوة (والتي أصبحت تسمى الضروريات (الضروريات)، والحاجات (الحاجيات)، وتحسين (التحسينات)، كما يؤكد الفرق بين المصالح كما حددها شرع الله سبحانه وتعالى، والفوائد التي يقصدها الإنسان. فرض الغزالي عددًا من الشروط ليتم تطبيقها على المصالح المرسلة أو غير المقيدة، أي الفوائد التي لم يتم تحديدها من خلال نص معين والتي لا تكون بشكل عام جزءًا لا يتجزأ من النسخة السلعية (Al-Ghazali, 1904).

ما يجب أن نضعه في الاعتبار هنا هو أن هؤلاء العلماء عاشوا ووجدوا أنفسهم تحت التأثير الفكري والثقافي لنظام إسلامي، أي التطبيق الشامل لطريقة الحياة الإسلامية. لذلك، يمكن اعتبار نظام قيمهم وأفكارهم إسلامية في الأصل. ضمن طريقة الحياة الإسلامية المطبقة، فإن تفسير كل ما هو مفيد أو ضار سيتبع تصوراً إسلامياً. ومع ذلك، في ظل نظام تعظيم الربح الرأسمالي، يميل التفسير إلى أن يكون ماديًا وموجهًا للربح، وأحيانًا حتى بدون نوايا سيئة. بالإضافة إلى ذلك، فإن المنهجية المعاصرة التي يتم اللجوء إليها هي إنكار أهمية الأدلة النصية وإعلان الأهداف على أنها مفتوحة؛ وبهذه الطريقة، يمكن الادعاء بأن أي مفهوم تم تقييمه، من الحداثة إلى التقدم إلى العلم إلى حقوق الإنسان، جزء لا يتجزأ من أهداف الشريعة (Setia, 2016).

ومن المثير للاهتمام، أنه يبدو أن هناك إحياء وتجديد اهتمام بنظرية مقاصد الشريعة في الأوساط الأكاديمية في العقود القليلة الماضية. يمكن العثور بسهولة على سبب هذه الظاهرة: مع الأخذ في الاعتبار أن الحياة اليومية في العالم الإسلامي تصبح أكثر فأكثر نتيجة لأسلوب حياة رأسمالي، مع غياب الأنظمة الإسلامية، تتسع الفجوة بين الواقع والشريعة الإسلامية. مما يؤدي إلى تباين بين مطالب أحكام القانون من جهة والواقع غير الإسلامي من جهة أخرى. نتيجة لذلك، قد تبدو الشريعة الإسلامية متقادمة ومعزولة وغير واقعية وغير مناسبة للتطبيق. يبدو أن اللجوء إلى النموذج - المُسلَّع - من مقاصد الشريعة يبدو، ظاهريًا، تذكيرًا بما تهدف إليه أحكام الشريعة الإسلامية، وكأنه دفاع عن القانون؛ ومع ذلك، قد يكون بمثابة غطاء لإدخال القيم والفكر الرأسمالي، في محاولة "لسد الفجوة" بين الواقع والقانون؛ ليس من خلال تغيير واقع غير إسلامي، بل بتغيير القانون في النهاية. من سمات محاولات التقريب بين الأنظمة الإشارة إلى المصلحة المطلقة - في إشارة خاطئة إلى ابن القيم - "أينما كانت المصلحة فهذا هو الإسلام". مع عدم وجود تمييز بين الأنظمة المختلفة من حيث الأصول والقواعد والقيم والنوايا. ومن المثير للاهتمام أن حتى غير المسلمين قد اكتشفوا نظرية مقاصد الشريعة كوسيلة "لمواءمة" النظامين الإسلامي والعلماني (Bohlander, 2014).

لإعطاء مثال حول كيفية خدمة - تسليع –نظرية كإغلاق للفجوة بين المظهر الخارجي لقاعدة شرعية إسلامية ومحتوى القيم الرأسمالية، قد نلجأ إلى تفسير الفوائد والأضرار في الاجتهاد المعاصر على الكائنات المعدلة وراثيًا (Bouzenita, 2012).

ليس مدهشًا اللجوء إلى النظرية في كثير من الأحيان في مجال التمويل الإسلامي والمصرفية، حيث أن النموذج السلعي، أي المقاصد كما هو مفصل من منظورهم العالمي الأصلي والأدلة النصية، يوفر وسيلة لدمج القواعد الشرعية الإسلامية غير المترابطة مع وضع الرأسمالية العلمانية.

على مستوى الكتابات المتخصصة في الاقتصاد والعلوم الاجتماعية وعلم النفس وغيرها، غالبًا ما تتم الإشارة إلى المفهوم المخفف للمقاصد بنوايا حسنة إلى حد ما؛ حيث يحاول الأكاديميون المسلمون أسلمة المفاهيم المتعلقة بتخصصهم، وبالتالي يحاولون المساهمة في تحسين الأمة الإسلامية. على الرغم من النوايا الحسنة، يمكن إلحاق الضرر بعدم ملاحظة الاختلافات الجوهرية بين الرؤى العالمية للرأسمالية الإسلامية والغربية من خلال هؤلاء الناس العاديين. كما لاحظ (Setia, 2016)، غالبًا ما يكون المتخصصون المسلمون في العلوم الإسلامية هم من يعمقون الاختيار المشترك للمفاهيم على الرغم من معرفتهم الإسلامية العميقة، في ظل جهل بواقع المفاهيم الغربية وتجذرها في النظرة العلمانية للعالم. تستخدم المصطلحات المثقلة بشكل إيجابي مثل الحداثة والتنمية والعلم والتقدم كمقاصد تبادل، أحيانًا مثل المقاصد الخمسة المذكورة بشكل كلاسيكي، وتحولت إلى أهداف مفتوحة. إن حقيقة أن هذه، تمامًا مثل "المصلحة" و "المضرة"، يتم تفسيرها بعد ذلك ضمن إطار مادي علماني، يتم تجاهلها تمامًا. يقدم (Setia, 2016) أمثلة من قطاع التمويل الإسلامي المنتشر والصناعة الحلال لإلقاء الضوء على كيفية "تجاهل العايير المعرفية والمبدئية الأصلية لما يعتبر حقًا مصلحة حتى يمكن التعرف عليه مع القيم الغربية الأساسية مثل التقدم والعلم والتنمية. " (ص 127). يشمل نقد (Setia, 2016) أيضًا كيفية تقويض الترتيب الهرمي للمقاصد، على الرغم من كونه جوهريًا لتحقيق المقاصد ضمن النظرية، حيث يكون الدين هو الأكثر أهمية، والمال هو الأقل أهمية؛ كما يساء فهم مستويات القوة داخل مقصد واحد، وهي الضروريات، والحاجيات، والتحسينات.

ما يمكن ملاحظته في الكتابة الأكاديمية المعاصرة، وهو الذي يُنظر إليه على أنه أحد نتائج وكالة الفكرة؛ هو ميل لربط نموذج أو نظرية مُسلَّعة بالفعل بنسخة المقاصد المُسلَّعة. لإعطاء مثال؛ يشير (Zakaria & Abdul Malek, 2014) في بحثهما باختصار إلى المقاصد على أنها "الغرض، الهدف، المبدأ، القصد، الهدف والنهاية. وفي الوقت نفسه، فإن مقاصد الشريعة هي الأهداف أو الأغراض الكامنة وراء الشريعة الإسلامية ". (ص 43) لم يتم ذكر هذا – ولا الأبعاد الدنيوية الأخرى لمقاصد الشريعة. في الشرح التفصيلي للدين، الحياة الجسدية والمعرفة والأسرة والثروة، مع ذلك، لا يتم تقديمها كأهداف تتحقق عند تطبيق الشريعة الإسلامية، ولكن الاحتياجات البشرية، بهدف وضعها على قدم المساواة مع احتياجات ماسلو. ثم يستخدم هذا الدمج لتقييم كفاءة توزيع الزكاة، مستنتجًا أن "الاحتياجات البشرية القائمة على تكامل الاحتياجات البشرية كما هو منصوص عليه في مقاصد الشريعة وتسلسل ماسلو للحاجات لها تأثيرات قوية على كفاءة توزيع الزكاة. علاوة على ذلك، يوفر هذا التقييم متعدد الأبعاد رؤى مفيدة لمؤسسات الزكاة لعدم تقييد الزكاة في شكل نقدي ولكن يمكن أيضًا أن تكون في أشكال أخرى غير نقدية ". (ص 40) يتم تقييم النطاق الأكاديمي للمقال على أنه "تقييم لتطوير التقييم متعدد الأبعاد للاحتياجات البشرية بناءً على تكامل الاحتياجات البشرية كما هو منصوص عليه في مقاصد الشريعة وتسلسل ماسلو للحاجات. ومن المأمول أن يؤدي هذا التقييم متعدد الأبعاد إلى إدارة أكثر واقعية وعادلة وشمولية". (ص 50).

وعلى نفس المنوال، فإن (El-Din, 2013) في مؤسسته المقاصد لاقتصاديات السوق يقارن بين المقاصد الخمسة، كما صاغها الشاطبي، إلى مبادئ الاقتصاد: "وهكذا، فإن" الدين "هو الرؤية الإستراتيجية للرفاهية؛ "الذات" هي الهدف الاقتصادي العام؛ "العقل" هو المورد البشري المنتج؛ "ذرية" تعني الاستمرارية بين الأجيال؛ و "الثروة" هي المورد الاقتصادي المادي ". (ص 11)

"في التحليل النهائي، الاقتصاد هو علم إنساني يهدف إلى فهم السلوك البشري والهدف الأساسي منه هو تعزيز الرفاهية، مما يعني استهداف الأهداف الاجتماعية والاقتصادية لتعزيز حالة الرضا عن السلع والخدمات. وهذا بالتحديد هو السبب الرئيسي للقلق في الاقتصاد الإسلامي طالما توجد أدوات تحليل موثوقة للمساعدة في تحديد وتحقيق الأهداف الاجتماعية والاقتصادية ". (ص 14)
من الواضح أن المؤلف يضع الافتراضات الرئيسية للاقتصاد الرأسمالي، مثل الإنتاج باعتباره المشكلة الأولية الرئيسية ("المشاكل الاقتصادية المركزية (ماذا ننتج؟ كيف؟ لمن؟)" ص 12)، أو ندرة السلع كما صاغها آدم سميث، بشكل افتراضي ويحاول خلق تفسير مبني على المقاصد للرأسمالية الإسلامية حوله. ("يتناول هذا الفصل الأهداف (أي المقاصد) للشريعة الإسلامية (أي الشريعة) في السياق الاجتماعي والاقتصادي باعتبارها استفسارًا عن الكيفية التي تعطي بها الشريعة الأولوية لتخصيص الموارد الاقتصادية الشحيحة في السعي لتحقيق الأهداف الاجتماعية والاقتصادية ". "(ص 11).

في فصله عن "قانون الندرة كمحرك لاقتصاد المقاصد"، تم تقديم الشريعة على أنها الطريقة الأكثر حضارة وأخلاقية لتوزيع الموارد النادرة (!)، والطبقات الثلاث للمقاصد كما وصفها الغزالي (الضرورات، الحاجيات، التحسينات) تحت زاوية الرضا: "يشكل هذا نموذجًا تنمويًا من ثلاث مراحل يبدأ من إشباع الضرورات، (ضرورات) إلى إشباع الحاجات (الحاجيات) وأخيراً نحو إرضاء الكماليات المفتوحة (تحسينات)." (ص 16)

بدلاً من تقديم النظام الاقتصادي الإسلامي في حد ذاته، تظل الشريعة مجرد عباءة أخلاقية لـ "تجميل" الرأسمالية من خلال مقاصدها. يستخدم سيتيا مصطلح "الهندسة العكسية" لهذه العملية (Setia, 2016). لقد بحث مؤلفو هذه الأطروحة سابقًا في التسلسل الهرمي لنظرية الاحتياجات كما يشار إلى أبراهام ماسلو (Bouzenita and Boulanouar, 2016) . يعتبر تسلسل ماسلو الهرمي للاحتياجات نموذجًا واسع الانتشار في العديد من التخصصات، لذلك سيتعرض العديد من الطلاب في العالم الإسلامي له؛ على الرغم من تناقضه الجوهري مع المفاهيم الإسلامية. لتلخيص أهم أجزاء النقد، فإن النموذج لم يتم إثباته تجريبياً ويعتمد على تجارب أمريكية تم اختيارها عشوائياً في خمسينيات القرن الماضي، مما يجعله متمركزاً حول العرق. لا يعطي النموذج مجالًا لأي جانب روحي كحافز للعمل في الحياة البشرية، بينما تتطلب إمكانية "تحقيق الذات" إشباع الحاجات الإنسانية الأساسية - بما يتناقض تمامًا مع واقع الوجود البشري. (Bouzenita and Boulanouar, 2016) تدريس هذا النموذج وما شابه بشكل افتراضي - دون تقييم قائم على أسس إسلامية - يحرم الطلاب من أي ارتباط بنظام معتقداتهم.

النتائج (غير) المقصودة: التأثيرات على عقليات الطلاب

يتعرض الطلاب المسلمون، سواء داخل العالم الإسلامي أو خارجه، إلى حداثة ساحقة وناجحة على ما يبدو لا يستطيعون استيعابها، ناهيك عن تقييم الإسلام باعتباره أسلوبًا للحياة. لذلك فهم معزولون عن ثقافتهم الفطرية - عن قصد أو بغير قصد - مهجنون في دائرة ذاتية الاستدامة. ستكون علاقتهم بثقافتهم الإسلامية في أحسن الأحوال عاطفية وليست فكرية. قد ينظرون إلى الثقافة الإسلامية على أنها من بقايا الماضي المجيد، ولكن لا يمكن إدراكها في عصر اليوم؛ خالقة للمشاكل والغموض وليست حلًا لها.

ما يثير الاستياء أنهم لن يكونوا قادرين على التفوق على الأرجح، وسيكون نجاحهم في الاستنساخ الضحل للأفكار، وليس في تطورهم، طالما لم يتم التخلي عن إطار العمل المهجن. النجاح في ظل هذه الظروف مفاجئ إلى حد ما. سوف يحدث الارتباك عندما يميز الطلاب "الدليل" الغربي على المعرفة الإسلامية - التفكير في المعرفة الغربية على أنها "الطريق الصحيح". لديهم عقلية مجزأة، حيث يعيشون كمسلمين في المنزل ومع العائلة والأصدقاء، لكنهم يعملون في الأعمال التجارية والمهن في إطار أخلاقي وقانوني آخر تمامًا. بينما في الماضي، مدعومين من خلال نظام تعليمي إسلامي، طلاب وعلماء وجدوا أسسهم في الإسلام لتصفية المعرفة الخارجية وأخذ الخير منها، وهم الآن يصفون المعرفة الإسلامية من خلال الثقافة الغربية، لأنهم يتعلمونها باللغة الإنجليزية، بما في ذلك نهجها الأخلاقي والقانون المدني العلماني.

على حد تعبير الغزالي، يتخيل الناس تضاربًا في الدين بسبب عجزهم: "إنه حقًا مثل رجل أعمى دخل بيتًا وتعثر هناك على بعض أواني البيت وقال: ما هذه؟ ماذا تفعل السفن في الطريق. لماذا لم يضعوا مكانهم؟ قالوا له: هذه الأواني في مكانها، لكنك لم تجد الطريق بسبب عميك. كم هو غريب منك ألا تلوم تعثرك على العمى، بل تلومه على إهمال شخص آخر، "هذه هي العلاقة بين العلوم الدينية والفكرية". (Ghazali, 2010, p.48).

من خلال العدسة الغربية، قد يعتقد الطلاب المسلمون أنه لا يوجد شيء مبتكر حقًا جاء من العلوم الإسلامية. في واقع الأمر، لقد تعلموا الكثير من الأشياء التي فعلت ذلك، ولكن تم `` تهجينهم " إلى شكل فظ وغير طبيعي ثم `` بيعوا مرة أخرى " لهم كأمثلة على الغرب الحديث المتفوق التقدمي (الذي تغذيه الرأسمالية).

أيضًا، هناك إرسال "الأفضل والألمع" إلى الغرب للدراسة. وتحيز الوطن الأم تجاه هؤلاء الطلاب كما لو أنهم خريجون ذوو جودة أفضل، حتى لو كان من الواضح أنهم ليسوا كذلك.

ثم يجرون بحثًا عن أنفسهم على أنهم "الآخرون" (الاستشراق الذاتي)، مستخدمين الأطر والمنهجيات التى تعلموها من كتبهم المدرسية الغربية، وتعليمهم الغربي ومعلميهم الغربيين المدربين.

أنتج الاستعمار الفرنسي المثال النهائي لغسيل عقول الأجيال الشابة، حيث اختارت الشعوب الأصلية المستقبلية (لاستخدام مصطلح سيتيا) نخبة المستعمرات، مع القوة الثقافية للكتاب المدرسي. " Nos ancêtres les Gaullois étaient blond"[1]، وهي العبارة الشهيرة التي تترنح في عقول طلاب المدارس الابتدائية أينما ترسخ الاستعمار الفرنسي، وتخلق الإحساس النهائي بعقدة النقص بين المستعمرين على الدوام. ومع مرور الوقت، أصبحت وسائل استعمار عقليات الناس أكثر دقة وانتشارًا، وربما أكثر صعوبة في التعرف عليها وتفكيكها. تبدلت الأدوار؛ حيث كان العلماء هم من قاموا بتفكيك المفاهيم غير الإسلامية على ما هي عليه، ولكن أصبح من الرائج الآن أن العلماء المسلمين وأولئك الذين يقدمون أنفسهم على هذا النحو هم الذين يقدمون مفاهيم غير إسلامية بزي إسلامي زائف. وكما أدرك المفكر الجزائري مالك بن نبي بوضوح في منتصف القرن العشرين، أن الاستعمار، لكي يكون ناجحًا، يحتاج إلى عقلية استعمارية "la colonisiabilité " (Bennabi, 2005). كما صاغ الموسوعي الشمال أفريقي ابن خلدون، في مقدمته، العلاقة بين المحتل والفاتح على نحو ملائم. ويقول إن المحتل سيتبع المنتصر في عاداته وسلوكه (Ibn Khaldun, 1958). من غير المحتمل أن يكون ابن خلدون قد تخيل عواقب بعيدة المدى للاستعمار، لا سيما في نظام التعليم. ومع ذلك، فإن ملاحظته يمكن نقلها تمامًا إلى مثالنا.

تستوعب الأجيال القادمة المفاهيم الرأسمالية العلمانية المُسلعة في الكتب المدرسية، وبدرجة أقل في الأوراق الأكاديمية. ومما لاحظناه، غالبًا لا يمتلك الطلاب في التعليم العالي (ناهيك عما بعده) القدرة على التمييز بين المفهوم الأصلي والمفهوم السلعي، كما أنهم لم يكونوا جاهزين فكريًا لتفكيك مفهوم يتحدى الثقافة الإسلامية.

تسليع الأفكار، كما تم وصفه في هذه الدراسة، بمساعدة عدد من العوامل الأخرى، يؤدي إلى إدامة ما وصفه مالك بن نبي على نحو مناسب بـ "الاستعمار".

الخاتمة

عرضت الدراسة بعض الصعوبات التي يواجهها الطلاب المسلمون في النظام المعاصر للتعليم العالي، بناءً على أمثلة من المناهج الحالية وأساليب التدريس في الجامعات. وأوضحت أهمية وجهات النظر العالمية والاختلافات الرئيسية بينهما في هذه العملية. كما أظهرت كيف تصبح ظاهرة التسليع بحد ذاتها عاملاً لتغيير الفكر الإسلامي من أجل استيعاب الوضع الحالي.

[1] كان أسلافنا، الغالوس، شقر.